الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الشهيد حمه لخضر – الوادي

كلية الآداب واللغات
قسم اللغة والأدب العربي

اتساق الحديث النبوي الشريف وعلاقته بالسياق التخاطبي
دراسة في نماذج مختارة

مذكرة مقدّمة ضمن متطلبات الحصول على شهادة الليسانس في اللغة والأدب العربي
تخصص: لسانيات عامة

إعــداد الطالبات:
- سلسبيل حداد
- رجاء فار
- بن حامة رزان عائشة
- ضربان سناء

إشراف الدكتور:
-محمد العربي خضير

الموسم الدراسي: 1445/1446هـ-2024م/2025م

بسم الله الرحمن الرحيم
١٤٢٠

إهداء

الحمد لله حتى يبلغ الحمد منتاه، الحمد لله على توفيقه للنهاية الحسنة وجميل الختام .

نهدي مذكرتنا هذه وثمرة جهدنا لمن كانوا معنا سندا دائما؛ والدينا وقرة أعيننا؛ أمهاتنا الكريمات وآبائنا الكرام، من تعبوا وسهروا معنا، ورافقونا بالتشجيع والدعاء؛ فشكرا على مسعى، بكلّ خطوة خطوناها نحو النّجاح والتّميز والتّخرج. كما نهدي النجاح لعائلاتنا دون استثناء، وزملائنا وأحبابنا . ولكل من قدم لنا يدا من العون والدعم من قريب أو بعيد .

كما نهديها بعبق من دعاء الرحمات إلى من كانوا معنا من الأعزّة وهم اليوم في دار الآخرة، سائلين الله أن يتغمدهم بواسع رحمته، وأن يجمعنا معهم في جنة الفردوس الأعلى.

شكر وعرفان

الحمد والشكر لله كثيرا؛ أولا وآخرا، ظاهرا وباطنا .

ثمّ اقتداء بقوله صلى الله عليه وسلم: "لا يشكر الله من لا يشكر الناس"

نشكر كلّ من ساعدنا على إتمام هذا العمل، ونخصهم

أستاذنا المشرف الدكتور "محمد العربي خضير"؛ والذي كان معنا مشرفا وموجها

طيلة إعداده غاية إنهائه،

كما نتقدم بالشكر الوافر لأساتذتنا الأفاضل من قسم اللغة العربية، وخاصّة

الدكاترة الأفاضل "مليك جوادي"، "العربي الطريلي"، "سليم سعداني"، "دليلة

مصمودي"، وذلك جزاء حسن صنيعهم وما قدموه لنا في مشوارنا الدراسي والبيداغوجي

من تعليم وتوجيه.

- والشكر لله دائما وأبداً أولاً وآخراً.

مقـــــــدّمة

مقدمة

أنتجت اللسانيات الحديثة في تبيين الآليات والأدوات التي تسهم في تحقيق التماسك الداخلي والخارجي للنص، وهما ظاهرتي الاتساق من الجانب الشّكلي والانسجام من جانب المضمون؛ وهذا ما يجعل النّص متماسكا ومتصلاً من الجانب الدلالي والتركيبي على حدّ سواء. ورغم أن المصطلحين يستخدمان أحياناً بشكل مترادف، إلا أنّ لكل منهما آلياته الخاصة، ووظيفته المميّزة في بناء النصوص وفهمها.

إذا كانت البلاغة تظهر في الخطاب والشعر والنشر، فإنها حتما في الحديث النبوي تكون أعلى وأرقى؛ إذ أوتي النبي صلى الله عليه وسلم جوامع الكلم، فتميز عن غيره من أمّته ومن بني آدم جميعا بكونه أفصح العرب وأبلغهم. ولا شك أنها تتجلى في خطاباته وأحاديثه بأن تكون بالغة الانسجام، محكمة الاتساق؛ فلا يخلو خطاب أو حديث من أحاديثه من دلالات منها، ومن تناسبها مع سياق الحديث.

في هذا السياق، تأسس موضوعنا للبحث عن السياق التخاطبي في الحديث النبوي واتساقه، ومنه كانت دراستنا مسلطه على آليات اتساق الأحاديث المختارة لتحليلها، وبيان تماسك النص بالمعيارين الأساسيان في اللسانيات النّصية الاتساق والانسجام، وقد ارتأينا أن يكون موضوعنا موسوما ب "اتساق الخطاب النبوي وعلاقته بالسياق التخاطبي–نماذج مختارة".

يطرح الموضوع الإشكال والتساؤل الجوهري الآتي: "ما مظاهر الاتساق النصي التي استثمرها النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث النبوي الشريف؟ وما علاقتها بالسياق التخاطبي؟

يتفرع من التساؤلات الجوهرية التساؤلات الآتية:

– ما مفهوم الاتساق والانسجام؟

– ما مفهوم السياق؟

– ما آليات الاتساق وما تعريفها؟

وقد دعتنا لاختيار هذا الموضوع أسباب موضوعية متباينة، وأخرى ذاتية ومنهما:

– الحديث النبوي زاهر بنماذج الاتساق والسياق التّخاطبي.

– الحديث النبوي مدونة ثرية من البلاغة وآليات الاتساق.

– ربط الدّراسة الحديثة وتطبيقها على مدونة من الحديث.

– الرّغبة في الميول للخطاب النّبوي ولغة النّبي صلى الله عليه وسلم

للإجابة على التّساؤلات المطروحة، وتحقيق أهداف البحث، انتهجنا منهاجا يجمع بين الوصف كمنهج عام في تحديد الظواهر وتأسيس الملاحظة الأولية للموضوع، إضافة إلى استخدامنا لهذا المنهج في إنجاز وتنظيم الفصل النظري، وذلك بعد الرجوع للمصادر والمراجع العلمية ذات الصلة به؛ حيث عمدنا إلى التعريف بآليات لسانيات النص المتمثلة في الاتساق والانسجام، وكذلك الحذف والتكرار، والإحالة أيضا.

أما الفصل التّطبيقي، فكان منهجه البحثي مؤسسا على التحليل في الغالب؛ وهذا لتناسب المنهج مع تجاوز الملاحظة والوصف إلى التحليل والتفسير؛ أي تفسير الظاهرة المدروسة؛ حيث قمنا بتحليل مدونة من الأحاديث النّبوية، دارسين آليات الاتساق في كل حديث مع أغراضه البلاغية لمعنى الحديث ودلالته، مع ربطه بسياق الحديث النبوي الشريف.

أما عن مصادر ومراجع البحث، فقد اخترنا مجموعة منها على أساس الظاهرة المدروسة من أحاديث الأخلاق والمعاملات أكثر من غيرها، لتوفر آليات الاتساق فيها، وسهولة شرحها مقارنة بأحاديث الأحكام والفقه.

تلخص المراجع في المعاجم اللغوية لشرح مفاهيم ومصطلحات الدراسة، أهمها: لسان العرب لابن منظور، مقاييس اللغة لابن فارس، قاموس المحيط، المنجد. ثمّ مراجع أخرى للتعريفات اللسانية الاصطلاحية والمصطلحات الخاصّة، منها السياق والدلالة، المصطلحات الأساسية في لسانيات النص وتحليل الخطاب، مفاهيم التعليمية بين التراث والدراسات

اللسانية الحديثة، لسانيات النص مداخل نظرية مع دراسة جزائية في كتاب طوق الحمامة لابن حزم الأندلسي، مدخل إلى علم النص ومجالات تطبيقه

كما استعنا بمجموعة أخرى من المراجع التي تخدم بحثنا من الجانب التطبيقي من حيث تحليل المدونة ودراسة الظاهرة، ومثالها؛ الأربعون النووية، جواهر البخاري، حصن المسلم، الأمثال النبوية، صحيح البخاري.

ما يجدر ذكره مما اعترض سبيل بحثنا من الصعوبات، العراقيل الآتية:

– ضيق الوقت وتزامن المذكرة مع بحوث المقاييس الأخرى.

– بعض الخوف الذي أصابنا في بداية العمل، خاصة من حيث صياغة المفاهيم العلمية.

لكن بفضل الله وبفضل طموحاتنا ومساعدة أستاذنا المشرف، تمكنا من تجاوزها والحمد لله.

الوادي

10 ماي 2025

الفصل الأول

مفاهيم وأسس نظرية عامة للدراسة

تمهيد:

اهتمت لسانيات النص بدراسة موضوع الخطاب ودرجة تماسكه الشكلية اللغوية والموضوعية المعنوية. وقد نتج عن ذلك تحديد معايير التّماسك الشكلي ضمن ما يصطلح عليه ب- "الاتساق"، والذي يضم عدة آليات تتمثل فيه الإحالة، الحذف، الاستبدال، التكرار.

تؤدي هذه الآليات دورا حاسما في تحقيق الترابط والتوافق بين أجزاء النص، مما يحصل انسجامه وتماسكه وترابطه. إلى جانب التماسك، يبرز مفهوم الانسجام الذي يشير إلى التوافق المعنوي والمنطقي بين أجزاء النص، والذي يتحقّق من خلال الوحدة الموضوعية والتّسلسل المنطقي للأفكار والملائمة السّياقية بشكل عام. كما يهدف تحليل التماسك والانسجام في النصوص إلى فهم كيفية عمل اللغة، وبناء المعنى والتواصل؛ بحيث تكون مترابطة ومنطقيه.

1-السياق:

1-1-لغة:

لكل خطاب سياق يجمعه، ولا يمكن أن يخلو من ذلك؛ فهو أساسه الذي سيق له. والسياق في اللغة كما يقول ابن منظور: "وساق إليها الصداق والمهر سياق وإساقة، وإن كان دراهيم أودنانير؛ لأنّ أصل الصداق عند العرب الإبل، وهي التي تساق، فاستعمل ذلك في الدرهم والدينار وغيرهما[1].

والمادة اللّغوية سوق هي أصل السياق، وهو آخر الكلام من القرائن، وهو التتابع. ونقول مساوقة، بمعنى متابعة. وعليه فإن دلالة المادة "سوق" هي النظم والتتابع[2]. لذا تجمع التعريفات السابقة على أنّ السياق هو الترابط والإحكام والتتابع[3].

1-2-اصطلاحا:

جاء في قاموس اللسانيات لجان دبيوجراند تعريف مصطلح السياق كما يأتي: "السياق هو المحيط. وهو الوحدات التي تسبق والتي تلحق وحدة معينة، وهذا التعريف نجده أو نجد

[1]- ابن منظر، لسان العرب، دار المعارف، النيل، القاهرة، طبعة جديدة، ص2181.

[2]- ابن فارس، مقاييس اللغة، النشر والتوزيع، مؤسسة إبداع إعلام، مصر، القاهرة، ط1، 2018، ص366.

[3]- مجمع القاهرة، الوسيط، دار الدعوة، القاهرة، مصر، 1972، ص458.

ما يقرب منه في جميع الكتب والمعاجم التي تناولت مادة السياق بالتعريف، حيث يعرف قاموس اللغة الفرنسية السياق بأنّه: مجموع العناصر التي تسبق والتي تلحق وحدة معينة في الخطاب[1].

يقصد السياق به الإطار العام الذي تنتظم فيه عناصر النص ووحدته اللغوية كبناء نصي كامل من الفقرات المترابطة والمتعلقة ببعضها البعض. أما معجم روبير الصغير، فيعرف السّياق بأنّه مجموع النّص الذي يحيط بعنصر من اللغة؛ حيث تتعلّق به معناه وقيمته[2].

2-الانسجام:

لتماسك الخطاب من حيث البلاغة والنحو والصرف وما يتعلق بدلالته معايير كثيرة، أهمها الانسجام كمعيار يرصد البناء الدلالي والبلاغي للخطاب. وقد وردت له تعريفات كثيرة منها:

2-1-لغة:

يقول ابن فارس: سَجُمَ، السين والجيم والميم أصل واحد، وهو صب الشيء من الماء والمدمع. يقال: سجمت العين دمعها، وعين سجوم ودمع مسجوم. ويقال: أرض مسجومة ممطورة[3].

يشرح معجم المنجد في اللغة العربية الانسجام بأنّه الانسياب[4]. يقال منسجم، ما انسجمت ألفاظ القصيدة؛ أيّ تناغمت أصوات كلماتها وتناسقت، انسجم الكلام. وانسجم الماء، انصب وعليه فإن الانسجام هو الانصباب.

2-2-اصطلاحاً:

يدرس اللغويون النص من منطلق أنّه بنية لغوية، ويعني مفهوم البنية وجود علاقات منوعة ومتداخلة بين عناصر النص ومقاطعه، يعبر عنها بالانسجام والتماسك. ويجسد ذلك في النص وسائل لغوية عديدة تسمى أدوات الربط" (Les connecteurs) النص إذا يتألف من عدد من

[1]- مسعود بودوقة، السياق والدلالة، دار الأيام للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2016، ص40.

[2]- المرجع نفسه، ص40.

[3]- ابن فارس، مقاييس اللغة، النشر والتوزيع، المؤسسة إبداع للإعلام، القاهرة، ط1، 2018، ص372.

[4]- مجموعة من المؤلفين، المنجد في اللغة العربية المعاصرة، دار المشرق، بيروت، لبنان، ط2، 2001، ص650.

العناصر تقيم فيما بينهم شبكة من العلاقات الداخلية التي تعمل على إيجاد نوع من الانسجام والتماسك بين تلك العناصر، وتسهم الرّوابط التّركيبية والرّوابط الزّمانية والرّوابط الإحالية في تحقيقها... يعني ذلك أنّ النّص بنية مركبة متماسكة ذات وحدة كلية شاملة[1].

يقوم الانسجام على التّرابط المفهومي الذي تحقّقه البّنية العميقة للخطاب. وتظهر هنا عناصر منطقية كالسّببية، والعموم، وهي تعمل على تنظيم الأحداث والأعمال داخل بنية الخطاب؛ فهو يعتمد على عمليات مضمرة يستخدمها المتلقي لفهم الخطاب أو النّص وبيان انسجامه من خلال السّياق والتّشابه الذي يظهر له.

والانسجام من العناصر المكونة للنّصانية عند دي بوجراند. ويقصد به الطريقة التي يتمّ بما ربط الأفكار في البنية الظاهرة للنّصر؛ أيّ التّشكيل النحوي للجمل والعبارات وما يتعلق بها من حذف وإضافة ونحو ذلك وما له من أثر في البنية الدلالية للنص[2].

3-الاتساق:

حظي مصطلح الاتساق باهتمام كبير من لدن الباحثين في مجال لسانيات النص. ومنها توضيح مفهومه وأدواته، ووسائله، وإبراز عوامله وشروطه.

3-1-اللغة:

اتسق الكلام، بمعنى انتظم واستوى؛ اتّسقت الكتب على رفوف المكتبة، اتّسقت أفكاره[3].

يعرفه ابن فارس الاتساق في معجم مقاييس اللغة: نسق، النون والسين والقاف، أصل صحيح يدل على شايع في الشيء وكلام نَسَقُ. جاء على نظام واحد قد عطف بعضه على بعض. وأصله قولُهم: تغر نسق، إذا كانت الأسنان متناسقة متساوية، وخرز نسق: منظم[4].

من خلال دراستنا للمقطع اللغوي، نستنتج أنّ كلمة أو الجذر "اتسق" يدل على الأشياء المنظمة والمستوية، ومتساوية الترتيب، وعليه فإن معنى الاتساق في اللغة هو الاستواء والانتظام.

---

[1]- محمد الأخضر الصبحي، مدخل إلى علم النص ومجالات تطبيقه، دار العربية، دط، ص86.

[2]- مجموعة من الأساتذة، مفاهيم التعليمية بين التراث والدراسات اللسانيات الجديدة، دط، 2009، ص31.

[3]- مجموعة من المؤلفين، المنجد في اللغة العربية المعاصرة، دار المشرق، بيروت، لبنان، ط2، 2001، ص1528.

[4]- ابن فارس، مقاييس اللغة، النشر والتوزيع، المؤسسة إبداع للإعلام، مصر، القاهرة، ط1، 2018، ص777.

3-2-اصطلاحا:

يعرف "Carter" الاتساق من الجانب الاصطلاحي: " يبدو لنا الاتساق ناتجاً عن العلاقات الموجودة بين الأشكال النصية، أما المعطيات غير اللسانية (المقامية، تداولية)، فلا تدخل إطلاقا في تحديده.

ينتج الاتساق عن العلاقات الموجودة بين الأشكال النصية، وهو يحصل بمجموعة من الروابط النحوية والمعجمية؛ فهي تسهم في تشكيل الخطاب. ولا يمكن أن يكون في الجانب الدلالي فقط؛ بل في الجانب الشكلي كذلك. وعليه فإنّ هذا المصطلح يحيل إلى العلاقات أو الأدوات التي تسهم في الربط بين التراكيب الداخلة للنّص[1].

- يقصد عادة بالاتساق، ذلك التماسك الشديد بين الأجزاء المشكلة لنص أو خطاب ما. ويهتم فيه بالوسائل اللغوية "الشّكلية" التي تصل بين العناصر المكونة لجزء من خطاب أو خطاب برمته. ويعدّ الاتساق شرطا ضروريا وكافيا للتّعرّف على ما هو نص وعلى ما ليس نصا[2].

يعدّ الاتساق من المفاهيم الأساسية في لسانيات النص؛ حيث يعرف بأنّه ترابط الجمل في النّص مع بعضها بعضاً بوسائل لغوية معيّنة. لذلك يشار إليه بأنّه ذلك الترابط بين التراكيب والعناصر اللغوية المختلفة لنظام اللغة؛ ومنه فإن الاتساق يعني به الترابط في التراكيب اللغوية النحوية والمعجمية التي تشكل تناسقاً وبناء أو وحدة متناسقة.

3-3-آليات الاتساق:

3-3-1-الإحالة:

بما أنّ البلاغة في التكرار منقصة ومذمة للخطاب، واقتصاراً للجهد والوقت، وتوخيا للاقتصاد اللغوي، كانت الإحالة آلية بلاغية تصنع في الخطابات اتساقا وتماسكا، وربطاً لأشكال الخطاب بمضامينها ومقاصدها.

---

[1]– نعمان بوقرة، المصطلحات الأساسية في لسانيات النص وتحليل الخطاب، جدار للكتاب العالمية للنشر والتوزيع، عمان الأردن، ط1، 2009، ص81.

[2] ينظر: هاليدي ورقية حسن، نقلا عن محمد خطابي، لسانيات النص، مدخل إلى انسجام الخطاب، المركز الثقافي العربي، دار البيضاء، المغرب، ط2، 2006، ص05.

أ-لغة:

الإحالة في اللغة من التّحول والتّرحيل، وهي من جودة النّظر، والقدرة على حسن التّصرف. والحيل والحول؛ جمع حيلة[1]. لنجد من خلال دراستنا للمادة اللغوية للإحالة أنّها دلالة على الانحراف أو الاضطراب، أو الاتجاه إلى شيء آخر.

ب-اصطلاحا:

علاقة قائمة بين الأسماء والمسميات؛ فهي تعني العملية التي بمقتضاها تحليل اللفظة المستعملة على لفظة متقدمة عليها؛ فالعناصر المحيلة كيفما كان نوعها، لا تكتفي بذاتها من حيث التّأويل، وصورة الإحالة استخدام الضمير ليعود على سابق أو لاحق لا بدلاً من تكرار الاسم نفسه، مثلا نجد في هذا المثال عملا رئيسيا للضمائر (الهاء وهم) في الربط بين مكونات هذا الملفوظ وضمان استمرار وحدته الموضوعية في ضوء ترابط عمل وتعلقها بسبب من بعض. وأما ما يعرف بالإحالة على اللاحق، فربما يرجع إلى تأثير اللغات الأجنبية في التركيب العربي المحدث يفعل الترجمة[2].

تعد الإحالة وسيلة مهمة من وسائل التماسك النصي؛ إذا تحافظ على بنية النص وانتظامه، وتماسك أوله بآخره؛ فهي علاقة معنوية بين الألفاظ أو الأسماء المعينة، وتشير إليه من مسميات وأشياء داخل النص أو خارجه.

-تعد الإحالة من أهم الوسائل التي تحقق النص التحامه وتماسكه، وذلك بالوصل بين أواصر مقطع ما، أو الوصل بين مختلف مقاطع النص والإحالة نوعان: إحالة مقامية؛ باعتبار أنّ اللغة تحيل دائما على أشياء وموجودات خارج النص، وإحالة نصية، وهي التي تحيل فيها بعض الوحدات اللغوية على وحدات أخرى سابقة عنها أو لاحقة لها[3].

الإحالة عبارة عن علاقة بين العبارات من جهة، وبين الأشياء من جهة أخرى في عالم خارج تشير إليه العبارات، وعليه فإنّ عناصر الإحالة تعتمد على بعضها البعض؛ فالعنصر المحال يعتمد على العنصر المحال إليه إما أن يكون داخل النص أو خارجة، ليتم فهمه فلا

---

[1]– ابن منظور، لسان العرب، دار المعارف، القاهرة، طبعة جديدة، ص1056.

[2]– نعمان بوقرة، المصطلحات الأساسية في لسانيات النص وتحليل الخطاب، جدار للكتاب العالمية للنشر والتوزيع، عمان الأردن، ط1، 2009، ص81 – 82.

[3]– محمد الأخضر الصبحي، مدخل إلى علم النص ومجالات تطبيقه، دار العربية، دط، ص86.

يمكننا فهم بعض عناصر النص إلا من خلال ربطها بخارج النص أو بسابق أو لاحق داخل النص.

3-3-2-التّكرار:

يمتلك الاتساق وسيلة التكرار التي تحدث للعناصر اللغوية المكونة لبنية النص بصورها المتنوعة سمة الإحالة، والتي تبدو في التكرار من خلال إعادة الذكر لعنصر لغوي سبق ذكره داخل النص، فينتج طرفان التكرار على اختلاف موقعيهما وسياق ورودهما -فيرتد الثاني منهما إلى الأول ويرتبط به، مما يسهم في تعزيز الترابط بين العناصر المتكررة وسياقها الأسلوبي الذي ترد فيه.

أ-لغة:

يعرّفه ابن فارس في كتابة مقاييس اللغة؛ كرَّ: الكاف والرّاء أصل صحيح يدل على جمع وترديد من ذلك: كرّرت، وذلك رجوعك إليه بعد المرة الأولى؛ فهو التّرديد الذي ذكرناه. والكرير كالحشرجة في الحلق، سمي بذلك؛ لأنّه يرددها[1].

التّكرار من الجذر كرَّ، كرر والتّكرار بفتح التاء وكسرها مصدر كرر؛ أي الإتيان بالشّيء مرة تلوى الأخرى وتساوي الإعادة، ومنه فإنّ التكرار يقصد به الإتيان بعناصر متماثلة في مواضع مختلفة من العمل الفني، ويعدّ أساس الإيقاع بجميع صوره، فنجده في الموسيقى كما نجده أساسا لنظرية القافية في الشعر، فيطلق مصطلح التكرار أثناء انتشاره كظاهرة بصورة واضحة في الأعمال الأدبية[2].

ب-اصطلاحا:

لا يبعد التعريف اللغوي للتكرار عن الاصطلاحي؛ إذ يعرفه شارول (charoell) على أنّه "عنصر من عناصر الاتساق المعجمي، وهو يعدّ من الرّوابط التي تتصل بين العلاقات اللسانية؛ فقاعدة التكرار الخطابية تتطلب الاستمرارية في الكلام؛ بحيث يتواصل الحديث عن

[1]- ابن فارس، مقاييس اللغة، النشر والتوزيع، المؤسسة إبداع للإعلام، مصر القاهرة، ط1، 2018، ص685.

[2]- مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزابادي، القاموس المحيط، تح: أنس محمد الشامي وزكريا جابر أحمد، دار الحديث، القاهرة، مصر، دط، 2008، ص1407.

الشيء نفسه بالمحافظة على الوصف الأول، أو بتغيير ذلك الوصف، ويتقدّم التكرار التوكيد الحجة والإيضاح[1].

والتكرار من الظواهر الأسلوبية التي تستخدم لفهم النص، فتكون له أهدافا متعددة ومعان مختلفة، كالتوكيد والتهويل والتعظيم وغيرها، ولا شك أنّ التكرار من الأساليب التعبيرية التي تقوي المعاني، وتعمق الدلالات، كما أن استمرارية الحديث والخطاب تكون ناتجة منه. ويمكن القول: إنّ التكرار يرفع من القيمة الفنية للخطاب والنصوص لما يضفي عليها من دلالية، ليظل أحد الأساليب اللغوية التعبيرية التي لا يجوز أن نهملها[2].

فالتكرار إذن، ظاهرة لغوية يشير إلى إعادة استخدام عنصر معجمي أو عبارة تشير إلى شيء سبق ذكره في النص، ويمكن للتّكرار أن يكون وسيلة ربط بين الجمل والفقرات معا، مما يعزّز التّرابط والتّماسك في النص.

3-3-3-الحذف:

يعدّ الحذف أداة قوية لتحقيق الاتساق، وذلك من خلال إزالة عناصر تضعف التماسك أو تحدث تناقضاً؛ فالحذف يحتاج إلى الدقة لضمان استمرارية المعنى.

أ-لغة:

شرحه ابن منظور في معجمه بأنّه حذف الشّيء إسقاطه، ومنه حذفت من شعري ومن ذنب الدّابة؛ أيّ أخذت... والأزهري عن ابن المظفر: الحذف قطف الشيء من الطرف كما يحذف دني الدابة[3]. فالحذف من أقوى أدوات الاتساق، وذلك عن طريق حذف وإسقاط العناصر في السياق، لكنه يحتاج للدقة للحفاظ على استمرارية المعنى.

ب-اصطلاحا:

يعدّ الحذف من القضايا المهمّة التي عالجتها البحوث النحوية والبلاغية والأسلوبية بوصفه انحرافا عن المستوى التّعبيري العادي. ويستمد الحذف أهميته من حيث أنّه لا يورد

---

[1]– نعمان بوقرة، المصطلحات الأساسية في لسانيات النص وتحليل الخطاب، جدار للكتاب العالمية للنشر والتوزيع، عمان الأردن، ط1، 2009، ص100.

[2]– سعد سرحت لسانيات النص، مداخل نظرية مع دراسة إجرائية في كتاب طوق الحمامة لابن حزم الأندلسي، ط1، 2016، ص124.

[3]– ابن منظر، لسان العرب، دار المعارف، النيل، القاهرة، طبعة جديدة، ص838.

المنتظر من الألفاظ، ومن ثمّ يفجر في ذهن المتلقي شحنة توقظ ذهنه، وتجعله يفكر فيما هو مقصود.

يتحدّد الحذف بأنّه علاقة تتمّ داخل النّص؛ فمعظم أمثلته تبيّن أنّ العنصر المحذوف موجود في النّص السّابق؛ مما يعني أنّ الحذف ينشأ علاقة قبلية، ولا يختلف الحذف عن الاستبدال إلا بكونه استبدالا بالصفر؛ بمعنى أنّ علاقة الاستبدال لا تترك أثراً في النّص، وأنّ العنصر البديل يبقي مؤشراً يهتدي به المتلقي في البحث عن العنصر المستبدل. في حين يختلف الأمر مع الحذف؛ فلا يحل محل المحذوف أيّ شيء مما يترك في الجملة التالية فراغا في البنية يهتدي المتلقي إلى ملئه بالعودة إلى ما ورد في الجملة السابقة[1].

يعدّ الحذف من أهم القضايا المعالجة في البحوث النّحوية والبلاغية والأسلوبية، وتمّ وصفه بأنّه انحراف عن المستوى التّعبيري العادي؛ أيّ أنّه اختلف في التعبير من غيره. وللحذف أهمية تكمن في أنّ المتلقي لا يجد الألفاظ التي ينتظر وجودها في السّياق، ثمّ يتفاجئ بعدم وجودهن، وهذا ما يفجر شحنة توقظ ذهن المتلقي ليفكر في المقصود، ويحدث الحذف في النص للألفاظ دون اختلال المعنى.

الحذف ظاهرة نصية لها دوره في انسجام النص والتحام عناصره، وشرطه في اللغة أنّ "لا يتمّ إلا إذا كان الباقي في بناء الجملة بعد الحذف مغنيا في الدلالة كافيا في أداء المعنى. وقد يحذف أحد العناصر؛ لأن هناك قراءة معنوية أو مقالية تومئ إليه وتدل عليه، ويكون في حذفه معنى لا يوجد في ذكره[2].

3-3-4-الاستبدال:

أ-لغة:

يقول ابن فارس في كتابه مقاييس اللغة: بدل، الباء والدال واللام أصل واحد، وهو قيام الشيء مقام الشيء الذّاهب. يقال: هذا بدل الشّيء وبديله، ويقولون: بدلت الشّيء وبديله

[1]- نعمان بوقرة، المصطلحات الأساسية في لسانيات النص وتحليل الخطاب، جدار للكتاب العالمية للنشر والتوزيع، عمان الأردن، ط1، 2009، ص106.

[2]- محمد الأخضر الصبحي، مدخل إلى علم النص ومجالات تطبيقه، دار العربية، دط، ص86.

ويقولون: بدلت الشيء إذا غيرته وإن لم تأت له بِبَدَل -قال تعالى: "وأَبدلته إذا أتيت له لي أن أبدله من تلقائي نفسي". وأبدلنا إذا أتيت له يبدل[1].

ب-اصطلاحا:

إذا أردنا أن ننتقل إلى مفهوم الاستبدال في نحو النص وتعريفه من حيث الاصطلاح سيكون المعنى نفسه، إلا أنّه مخصوص، فيعرف كالتالي:

الاستبدال صورة من صور التماسك النصير التي تتمّ في المستوى النحوي المعجمي بين الكلمات أو العبارات، وهو عملية تتمّ داخل النص، إنه تعويض عنصر في النص بعنصر آخر[2].

لا يقع الاستبدال إلا داخل النص؛ فهو يعدّ علاقة بين طرفيه على المستويين النحوي والمعجمي باستراحة اشتراك عنصر به في البنية الوظيفية، فهو وسيلة قوية تكفل اتساق النص.

يمثل الاستبدال كوسيلة من وسائل التماسك النصي في تعويض عنصر لغوي بعنصر آخر. وهو يتمّ على المستوى النّحوي والمعجمي داخل النص. ويختلف عن الإحالة في أنّ هذه الأخيرة تقع على المستوى الدلالي. كما أنّها أحيانا تحيل على أشياء خارج النّص. فيتميز الاستبدال عن الإحالة أيضاً أنّ معظم حالاته قبلية، وذلك أنّ العلاقة بين الكلمات فيه تكون بين عنصر متأخر وعنصر متقدّم[3].

يكون الاستبدال بوضع لفظ مكان لفظ آخر لزيادة الصلة بين هذا اللفظ. وذلك الذي يجاوره، وذلك اللفظ الذي يدلّ على الشّيء الذي تقدّم ذكره، مثل: "سيارتي قديمة يجب أن أشتري أخرى جديدة".

---

[1]– ابن فارس، مقاييس اللغة، النشر والتوزيع، المؤسسة إبداع للإعلام، مصر، القاهرة، ط1، 2018، ص65.

[2]– محمد الأخضر الصبحي، مدخل إلى علم النص ومجالات تطبيقه، دار العربية، دط، ص83.

[3]– نعمان بوقرة، المصطلحات الأساسية في لسانيات النص وتحليل الخطاب، جدار للكتاب العالمية للنشر والتوزيع، عمان الأردن، الطبعة الأولى، 2009، ص91.

الفصل الثّاني

الاتساق والانسجام الحديثي في نماذج مختارة

تمهيد:

الحديث النّبوي الشريف نصوص لغوية ذات طابع تخاطبي مميز، يجمع بين البلاغة النبوية والدّقة اللغوية، مما يجعله مجالاً خصباً للدراسة اللسانية الحديثة، وخاصة في ضوء نظريات الاتساق النصي والسياق التخاطبي؛ فالاتساق هو أحد معايير تماسك النص التي تظهر في الحديث النبوي عبر آليات متعددة الربط اللغوي، الإحالة الحذف، التكرار الاستبدال، والتي تعمل معا لتصنع نصّا متماسك دلاليا ونحويا.

أما السياق التخاطبي، فيعني بدراسة النص في إطار الموقف التواصلي الذي قيل فيه، بما يشمل المتكلم، وهو الرسول صلى الله عليه وسلم، والمخاطب وهم الصحابة، أو غيرهم من ناحية الزمان والمكان، والأهداف التواصلية. وهو يسهم بدوره في كشف السمات الدلالية والإقناعية للحديث.

تبرز أهمية دراسة الحديث النبوي من هذه الزاوية، وهي الاستكشاف للاتساق النصي عبر الوسائل اللغوية، ومدى تفاعل النص مع السياق التخاطبي لتوجيه المعنى، لذا قمنا بتحليل نماذج من الأحاديث درسنا فيها آليات الاتساق.

1-النّموذج الأول:

1-1-متن الحديث:

النّموذج الذي بين أيدينا هو حديث النبي صلى الله عليه وسلم الصحيح من كتاب البخاري، والذي يتحدث عن فضل الذكر وهو بلفظ وتركيب مختصر وموجز من الاتساق والانسجام.

متن الحديث قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "مثل الذي يذكر ربه والذي لا يذكر ربه مثل الحي والميت"[1].

1-2-اتساق وانسجام الحديث:

تظهر في بداية الحديث مماثلة، اتضحت في وصف الشيء وضدّه، وتمثلت في "مثل الذي يذكر ربه والذي لا يذكر ربه"؛ ففي كل أمر فيه ترغيب، يبدأ النبي صلى الله عليه وسلم حديثه بالأفضل، فيكون لقارئ الحديث أو سامعه رغبة في تطبيق ما جاء منه والالتزام به.

في حين، يتخذ النبي صلى الله عليه وسلم عكس ذلك مع أسلوب الترهيب بغرض أبعاد المرء عن ما يرهب النبي في حديثه.

كما نجد في نموذجنا هذا ظاهرة لغوية، هي محسن من المحسنات البديعية، وهو الطباق بين "الحي والميت"، ونوع هذا الطباق إيجابي؛ إذ يحي العبد بذكر الله عز وجل، ويكون أعمى دون ذكر ربّه، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "مثل الحي والميت"، والموت والحياة هنا حقيقة؛ لأنّ العبد دون ربه وبعيد عن ذكره وعبادته، لا حياه له في الدنيا، أما من كان يذكر الله ويعبده، فهو يعيش حياته مرتاحاً بها، ويشعر بالطمأنينة.

من أدوات اتساق الحديث، ما وظفه النبي صلى الله عليه وسلم من أداة "الإحالة"، وهي في قوله "ربّه"؛ فالهاء ضمير متصل يحيل لصلة الذكر بالمعبود واختبار لفظة "ربّه"؛ لأن

---

[1]- سعيد بن علي وهف القحطاني، حصن المسلم من أذكار الكتاب والسنة، دار الإمام مالك، طبعة ملونة ومشكولة، 2011، ص05.

- ينظر: كتاب البخاري مع الفتح (11/ 208).

الرب هو المالك المربي، فتكون أولوية الذكر له ليكون التماثل في التركيب يشكل اتساقا لغويا في هذا الحديث الذي يكمن في اقتصاد لغوي بقلة ألفاظه وكثرة معانيه ودلالته.

2-النموذج الثاني:

2-1-متن الحديث:

النموذج المختار هو حديث النبي صلى الله عليه وسلم الصحيح من كتاب حصن المسلم، يتحدث فيه عن كسب الحسنة وكيف يمكن ذلك. وهو حديث مركب تركيبا بليغا، ومتسق بدرجة عالية من الانسجام والتماسك للأسلوب القوي الذي يمتلكه البني صلى الله عليه وسلم من الفصاحة والبلاغة. ومتن الحديث، قال صلى الله عليه وسلم: "يعجز أحدكم أن يكسب كل يوم ألف حسنة فسأله سائل من جلسائه: كيف يكسب أحدنا ألف حسنة؟ قال: يسبح مائة تسبيحه، فيكتب له ألف حسنة أو يحط عنه ألف خطيئة"[1].

2-2-اتساق وانسجام الحديث:

استهل النبي صلى الله عليه وسلم حديثه بصياغة استفهامية، والغرض منها الترغيب والتشويق، ولقد نظر المخاطب لجذب انتباه ما لا يخفى؛ فقال صلى الله عليه وسلم "أيعجز أحدكم" وقد استخدم الفعل يعجز لصعوبة كسب ألف حسنة، فكسب المؤمن لألف حسنة كل يوم ليس بالأمر الهين، فاستخدم الفعل للشيء الكثير. ولعلنا نجد طباق الإيجاز في اللفظتين: (حسنة ≠ خطيئة).

في مقابل هذا، يتضح لنا محسنًا بديعيا آخرا من نوع المقابلة: "يكتب ألف حسنة أو يحط عنه ألف خطيئة ليحذف المخاطب (المؤمن) ويحيل إليه بضمير مستقر تقديره هو ويظهر لنا في إحالة بحرف الهاء في "عنه" و"له". أدت هذه الحالة لاتساق الحديث وتماسكه حفاظ على معناه وتوازنه دون إحداث أيّ خلل في انسجامه وبيان سياقه ودلالته.

اختيار النبي صلى الله عليه وسلم للألفاظ له دلالات دقيقة؛ حيث اتخذ الخطيئة بدلاً من السيئة؛ لأن الخطأ ينتج عن الإنسان وهو أكبر من السيئة. كما أقرن فعل الكتابة مع

[1]- سعيد بن علي وهف القحطاني، حصن المسلم من أذكار الكتاب والسنة، دار الإمام مالك، طبعة ملونة ومشكولة، 2011، ص121.

- أخذ من مسلم (4/ 2073).

الحسنة بدلاً من الفعل حط الذي أقرنه مع الخطيئة. لنعلم أنّ هناك فرق بين الخطيئة ومقابلها عند ربنا والحسنة كذلك. يسعى النبي صلى الله عليه وسلم في حديثه الوصول إلى درجة عالية من الإقناع من خلال أساليبه البلاغية وقوتها؛ فكل ترغيب ولفظ من الحديث، له دلالة تسهم في ذلك.

3-النّموذج الثالث:

3-1-متن الحديث:

النّموذج الذي بين أيدينا هو حديث النبي صلى الله عليه وسلم الصحيح، والذي يتحدث عن الرفق والخلق الحسن، والمركب تركيبا موجزا وبليغا، وعاليا من الاتساق والانسجام والتماسك، والراقي في بلاغته بأسلوب النبي صلى الله عليه وسلم القوي والفصيح.

ونص الحديث: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من أعطي حظه من حرم حظه الرفق، فقد أعطي حظه من الخير، ومن حرم حظه من الرفق، فقد حرم حظه من الخير، أثقل شيء في ميزان المؤمن يوم القيامة حسن الخلق، وإن الله ليبغض الفاحش البذيء"[1].

3-2-اتساق وانسجام الحديث:

بدأ الرّسول صلى الله عليه وسلم بالشرط كصيغة بغرض تلازمت فيه الجمل، وترابطت بواسطة أداة الشرط. ولا يغيب علينا تناسق الجمل وانسجامها بانتقاء الرسول صلى الله عليه وسلم للألفاظ والجمل يتأدى بها المعنى والدلالة، ويقتنع بها المتلقي، ولا شك في أسلوبه وفي بلاغته اتخذ التكرار دلالة للتوكيد والإيضاح، ولم يخل ذلك بالمعنى، فكرر الرفق لحث المؤمن على أدائه والتحلي به، كونه طريقا لباب الجنة. في مقابل هذا، اتخذ النبي الطباق لبيان أجر من يرفق ومن لا يرفق.

ومن أدوات الاتساق في الحديث، الإحالة المقامية. وقد تمثلت قبل حرف الهاء وهي إحالة مقامية لمن يوجه إليه النّبي هذا الحديث، ويحيل إليه فيها، وقد جاءت في تكرار لفظة حظّه، وهذا دليل على غرض وغاية الرسول صلى الله عليه وسلم في إقناع المؤمن وتبليغه المراد، ليثبت له أنّ كلّ فرد له حظّه لوحده، وعمله السّيء أو الحسن سيكتب ويؤجر عليه.

[1]- محمد ناصر الدين الألباني، صحيح الأدب المفرد، مكتبة الدليل، ط4، 1997، المملكة العربية السعودية، ص464.

لعلّ آخر الحديث كان مستهدفا للفاحش والبذيء، وهو أكثر ما يضرّ بالإنسان ويؤدي به إلى المعاصي، اللسان والكلام الفاحش والبذيء. كما أنّ الرسول صلى الله عليه وسلم اتخذ من الألفاظ والعبارات نظما وتركيبا منسجما بألفاظ توالت في حقل دلالي واحد عقد حديثه عن حسن الخلق بحقل الصفات الحسنة والخلق الطيب، وكذلك العكس في حديثه عن سوء الخلق، فالنّبي صلى الله عليه وسلم بليغ في لغته وفصاحته، وحكيم في كلامه وأحاديثه. والحكمة من هذا، أنّ الكلام ميزان ومقام يختلف لكل فرد وجنس؛ فلو أنّ النّبي كان يتخاطب كافراً ما كانت هكذا عباراته، ولاختلفت صيغة كلامه وخطابه.

4-النّموذج الحديثي الرّابع:

4-1-متن الحديث:

النموذج الذي بين أيدينا هو حديث النبي صلى الله عليه وسلم الصحيح من كتاب جواهر البخاري، والذي يتحدث عن المظالم والغصب، وهو بلفظ وتركيب بليغ ودرجة عالية من الاتساق والانسجام، اتخذ الرسول فيه أسلوبه الراقي والقوي ما أوتي من جوامع الكلم وفصاحة العرب. ومتن الحديث عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن الرسول صلى الله عليه وسلم قال: "إذا خلص المؤمنون من النار حبسوا بقنطرة بين الجنة والنار فيتقاصون أو يتقاضون مظالم، كانت بينهم في الدنيا حتى إذا نقوا وهذبوا أذن لهم -صلى الله عليه وسلم بدخول الجنة، فو الذي نفس محمد – صلى الله عليه وسلم بيده لأحدهم بمسكنه في الجنة أدلّ بمنزله كان في الدنيا"[1].

4-2-اتساق وانسجام الحديث:

ابتدر النبي صلى الله عليه وسلم حديثه بصيغة شرطية أفادت الإخبار عن المجهول، وقد أقرنت بأداة الشّرط "إذا" في جملة الشرط إذا خلص المؤمنون من النار. حبسوا بقنطرة بين الجنة والنار"؛ فلا يمكن تحقيق الشرط الثاني إلا بتحقيق الأول. وهنا النبي صلى الله عليه وسلم يبيّن أنّ تجاه المؤمنون إذا حصلت فإنّهم سيحبسون في قنطرة بين الجنة والنار. ليجازوا عن أعمالهم. وقد بين هذا بجناس ناقص (يتقاصون، يتقاطعون)، وهذا لإثارة انتباه المتلقي من خلال اختلاف المعنى -مما جعل الحديث متّسقا قوي المعنى، واتخذ طباق

[1]– مصطفى محمد عمارة، جواهر البخاري وشرح القسطلاني، دار الفكر، دط، بيروت، لبنان، ص289.

الإيجاز في (الجنة ≠النار) توضيحاً للدلالة وسياق الخطاب وانسجامه، فارتباط أعمال المؤمنين قائم على جزائهم بالجنة.

من أدوات الاتساق التكرار، وقد كرر النبي صلى الله عليه وسلم "الجنة" لترغيب المؤمنين على ترك المعاصي والمظالم في الدنيا، ولتكن الجنة نصيبهم في الآخرة، فكان للتكرار أثر تأكيدي وبلاغي قوي، أسهم في اتساق وانسجام الخطاب. كما نجد للإحالة المقامية حظا في أسلوب الرسول للخطاب (هم، وا) إحالة للمؤمنين، وهي إحالة قبلية، كذلك (الهاء)، وهي إحالة مقامية أخرى تحيل لله عز وجل بعد أن اتخذ الرسول أسلوبا إنشائيا بالقسم في قوله: "فو الذي نفس محمد بيده".

5-النّموذج الحديثي الرّابع:

5-1-متن الحديث:

النموذج الذي بين أيدينا هو حديث النبي صلى الله عليه وسلم الصحيح المنقول عن أبي هريرة رضى الله منه من كتاب البخاري ومسلم، والذي يتحدث عن الإيمان بالله واليوم الآخر والأخلاق التي تؤدب المسلم وآداب يلتزم بها بتناسق وتركيب موجز دون إطناب وبلغة بليغة وعالية من الانسجام واتساق -وهذا يفصح لنا ما أوتي به النبي صلى الله عليه وسلم من البلاغة في العلم وسنة الحديث .

ونص الحديث، قال عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى اللہ عليه وسلم قال <<"من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكوم جاره؛ ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكوم ضيفه[1]>>

5-2-اتساق وانسجام الحديث:

بدأ الرسول صلى الله عليه وسلم حديثة بمن كان كدلالة شرطية. وقد كررها في حديثه التأكيد ثلاث مرات للتأكيد عن الإيمان بالله وما وجب عن المسلم فعله. ومعلوم أنّ تقديم الكلام في صفة وتركيب الشرط يفيد المستمع أو المتلقي، إضافة إلى أنّه يقدّم له المسلمات أو البديهيات قبل أن يعطيه الخير أو الحقيقة، وهذا من ضمير الحجاج؛ لأنّ هذا يحضر

[1]- أبو زكريا يحي بن شرف النووي، متن الأربعين النووية، ط 6، 2016، العلمة، الجزائر، بيت الحكمة للنشر والتوزيع، ص12.

للعقل أن يسوعي المعاني، ومنها الأوامر، فما أشار له النّبي صلى الله عليه وسلم هو من الأمر ودليله لام الأمر.

أفاد أسلوب التكرار في انسجام الحديث دون الإخلال بمعنى الحديث ولا باتساقه؛ بل كان أثراً كبيراً في انسجام الحديث ومهمة التأكيد والتوكيد.

ترتيب التكرار وفق الأولوية، ليقدم القول في قوله صلى الله عليه وسلم: "فليقل خيراً أو ليصمت"، ويقصد بذلك العلم الطيب عموما، وهذا من جانب عاطفي للمتلقي. وقد حثّ الرسول صلى الله عليه وسلم على ذلك في خبر خواطر الناس ومراعاة مشاعرهم، لينتقل إلى الإكرام مقدما إكرام الجار عن إكرام الضيف –لأنّ الجار أولى من الضيف، فهو دائم لجاره وقريب منه، ولتكن العلاقة الطيبة بينهما فالدنيا فانية، ويبقى الجار للجار –وترك إكرام الضيف بعد الجار وهو آخر ما ختم به حديثه؛ لأنّ الضيف مدة إقامته قصيرة، لكن تبقى الكلمة الطيبة في النفس مدى حياة الإنسان ويتذكره الجار قاتلها يغير ويحسن.

نجد في الحديث إحالة مقامية أتت على حرف الهاء في جاره وضيفه وتعود الهاء إلى المؤمن بالله وباليوم الآخر، والذي حث عليه النبي صلى الله عليه وسلم بقول الكلام الطيب والإكرام.

6–النّموذج الحديثي السادس:

النموذج الذي بين أيدينا هو حديث النبي صلى الله عليه وسلم الصحيح من الأربعين النووية المنقول عن مسلم، والذي يتحدث عن العبادات وفضلها المركب تركيبا بلاغياً موجزاً عالي الاتساق والانسجام لما أوتي به الرسول من قوة في الأسلوب وفصاحة الكلام.

ومتن الحديث: عن أبي مالك الحارث بن عاصم الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "الطهور شطر الإيمان، والحمد تملأ الميزان، أو تملأ ما بين السموات والأرض، والصلاة نور، والصدقة برهان، والصبر ضياء، والقرآن حجة لك أو عليك، كل الناس يغدو فبائع نفسه فمعتقها أو موبقها"[1]. رواه مسلم

[1] الإمام أبي زكريا يحي بن شرف النووي، متن الأربعين النووية، ط 6، 2016، العلمة، الجزائر بيت الحكمة للنشر والتوزيع، ص 17

استهل النبي صلى الله عليه وسلم حديثه بجملة اسمية وتركيب اسمي. كما بدأ بأسهل عبادة وأولها لأداء باقي العبادات فقال: الطهور شطر من الإيمان، والطهارة من الإيمان؛ فالمؤمن ينبغي له أن يكون طاهراً في جميع حالاته، ويسعى لذلك دوما؛ حيث يجب عليه أن يكون طاهراً لأداء عباداته. كما نجد أنّ بلاغة الرسول راقية في أحاديثه وخطابه، وهذا حين يستعمل السجع: "الحمد لله تملأ الميزان، وسبحان الله والحمد لله تملآن". فقد وقع السجع وأسهم في الترغيب للحمد والتسبيح، وهو سجع مقصود، فقد جاءت عباراته مسجوعة منتظمة معتدلة دون تكلف في مقاطع الكلام والعبارات

اتخذ النبي صلى الله عليه وسلم ترتيب العبادات من السهل إلى الصعب من عبارة سهلة قولية إلى الأصعب منها الفعلية؛ فمن الطهارة إلى الحمد والتسبيح والصلاة والصدقة، مؤجلة أصعب العبادات، وهو الصبر؛ لأنّ الرسول صلى الله عليه وسلم يعلم مدى صعوبة الصبر وتحمل المشاق، متخذا لكل عبارة صفة؛ لذلك ورد الحديث تركيبا اسميا وجمل اسمية تحمل صفة وموصوف.

ودائما ما يتخذ النبي صلى الله عليه وسلم بلاغة راقية من خلال إيصاله للمتلقي قناعة تربوية أو شرعية أراد النبي أن يحققها، وهذا من خلال أساليه في الخطاب. ولعل حديثنا هذا اتصف بالتدرج لا الترتيب في العبادات، والدعوة للالتزام بها، ليختم حديثة بنتيجة يوقر بها المؤمن، وكانت على صيغة بلاغية في شكل طباق بكلمتين متضادتين (معتقها ≠ موبقها) وبها ترك المؤمن خيارا يسير به بعد أساليب أقنعه بها.

7-النّموذج الحديثي السّابع:

النموذج الذي بين أيدينا هو حديث النبي صلى الله عليه وسلم الصحيح من كتاب المسلم، والذي يتحدث عن المظالم بين الناس يوم القيامة، وهو بلفظ وتركيب بليغ على درجة عالية من الاتساق والانسجام. وهذا عن ما أوتي النبي صلى الله عليه وسلم من البلاغة وجوامع الكلام.

وهذا الحديث: "أتدرون من المفلس"[1]، قالوا: المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع، فقال: إن المفلس من أمتي يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة، ويأتي قد شتم هذا وقذف هذا،

[1]- مسلم الحجيري القشيري، صحيح مسلم، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ص1997.

وأكل مال هذا، وسفك دم هذا، وضرب هذا، فيعطي هذا من حسناته، وهذا من حسناته وإن فنيت حسناته.

استخدم النبي صلى الله عليه وسلم استفهاما تمهيديا في بداية حديثه كقوله: "أتدرون من المفلس"، وهذا للفت الانتباه وإثارة التفكير ليربط بين المفهوم الدينوي "المفلس المادي" والمفهوم الأخروي "المفلس الحقيقي"؛ بحيث يريد أن يبين ويوضح بأنّ المفلس الحقيقي في الآخرة ليس من فقد ماله في الدنيا، بل بالعكس كقوله: "إن المجلس من أمتي من يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة"؛ أي من يأتي يوم القيامة بحسنات كثيرة، كالصلاة، الصيام، الزكاة". وفي حديثه هذا، نلاحظ أنّه بدأها بالشرط؛ حيث يؤكد الانتقال من التعريف العام إلى التفصيل الشرعي؛ أي أنها أعمال بين العبد وربه، قد لا تنفع صاحبها إذا كان مضيعاً لحقوق الناس؛ حيث يقصد بأن قبول الأعمال الصالحة مشروطة بعدم الظلم، وإلا فالحسنات شحب لتعويض المظلومين.

يوظف النبي التكرار كأداة اتساق، وذلك قصد التأثير العاطفي ولفت الانتباه والتحذير والتذكير، واستخدم الطباق في حديثه كالمفلس في الدنيا ≠ المفلس في الآخرة، حسنات ≠خطايا، وذلك قصد التأثير الوجداني والتأثير الفني. كما يبرز عدل الله تعالى ويحذرنا من عواقب الظلم كقوله تعالى: "فمن يعمل مثقال ذرة خير يره، ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره". أما بالنسبة للإحالة، فهي تحمل دلالة خاصة يبين الصورة الكلية، ويعمق الفهم، ويخدم المعنى، ويوصل الفكرة بأبلغ صورة.

8-النّموذج الحديثي الثامن:

النموذج الذي بين أيدينا هو حديث النبي صلى الله عليه وسلم الصحيح من كتاب الأمثال النبوية، رواه البهيمي وحسنه الألباني، والذي يتحدث فيه صلى الله عليه وسلم عن فضيلة المؤمن.

متن الحديث عن ابن عمرو رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "مثل المؤمن مثل النحلة؛ إن أكلت طيبا، وإن وضعت وضعت طيبا، وإن قعدت على عود نحز، لم تكسره. ومثل المؤمن مثل سبيكة الذهب، إن نفخت عليها احمرت، وان وزنت لم تنقص"[1].

[1] – القسم العلمي بمدار الوطن، من الأمثال النبوية، مدار الوطن للنشر، دط، ص11.

يتمتع نص الحديث بدرجة عالية من الاتساق على مختلف المستويات اللغوية والمعنوية؛ فالتكرار وحروف العطف، والتوازن النحوي. والعلاقات المنطقية والحقول الدلالية المتنوعة، كلها تعمل بتناغم لربط أجزاء النص، وتكوين وحدة دلالية متماسكة.

يسهم هذا الاتساق في وضوح المعنى وتأثيره في ذهن المتلقي. وتجعل التشبيهات المستخدمة أكثر فعالية في توصيل صفات المؤمن الحميدة. كرّر الرسول صلى الله عليه وسلم لفظ "مثل" في بداية الشطرين، مما أنشأ رابطة مباشرة بين التشبيهين، ويؤكد على الهدف المشترك وهو وصف المؤمن، وكذلك كرر صلى الله عليه وسلم لفظ "المؤمن" ليعزّز محور الحديث.

كما استخدم النبي صلى الله عليه وسلم حرف العطف "و"، لربط التشبيهن، (مثل المؤمن مثل النحلة... ومثل المؤمن مثل سبيكة الذهب.)، مما يوحد الجزأين ضمن بناء متكامل. كما يضم الترابط داخل الجمل الفرعية من خلال استخدام "إنّ" الشّرطية التي تخلق نسقا متكررا ومنظما.

ورغم أنّ صلى الله عليه وسلم لم يستخدم الضمائر الظاهرة إلا أنّ الضمائر المستترة في الأفعال تعود على "النحلة" و"سبيكة الذهب". مما يحافظ على الاتساق الإحالي الداخلي، ويمنع حدوث التباس في مرجعية الجمل. وقد استعمل أيضا النبي صلى الله عليه وسلم الحدس من الجمل الشرطية في حديثه من النوع (إن فعلت، فعلت)، (وضعت، وضعت)، (إن أكلت، أكلت)، وهي تظهر توازيا نحويا واضحا يعزّز من ترابط البنية، وييسر المقارنة بين عناصر التشبيه.

كما نجد للإحالة النّصية حظّا في خطاب النّبي صلى الله عليه وسلم؛ حيث يعود الضمير المستتر على "النحلة" في الجملة الأولى، وعلى "سبيكة الذهب " في الجملة الثانية. وهذا ما يمنع انقطاع المعنى. وللإحالة المقامية أيضا، حظّ في حديث النبي صلى الله عليه وسلم بغرض معرفة الملتقي بمكانة "المؤمن" في الإسلام وسمات الإيمان. ما يسهم في توجيه الفهم نحو المقصود من التّشبيه، ويعزّز المعنى الكامن خلف الصورة البلاغية.

9-النّموذج الحديثي التاسع:

النموذج الذي بين أيدينا هو حديث النبي صلى الله عليه وسلم الصحيح من كتاب الأمثال النبوية المتفق عليه، والذي يظهر فيه صلى الله عليه وسلم الفرق بين المؤمن والمنافق.

نصّ الحديث عن أبي موسى رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال مثل المؤمن الذي يقرأ القرآن كالأترجة، ريحها طيبه طعمها الطيبة ومثل المؤمن الذي لا يقرا القرآن كمثل التمرة، لا ريحه لها وطعمه حلو، ومثل منافق الذي يقرا القرآن كمثله الريحانة ريحها طيب وطعمها مر، ومثل المنافق الذي لا يقرأ القرآن كمثل الحر التي ليس لها ريح وطعمها مر[1].

فرق الحديث بأمثلة توضيحيه بين المؤمن والمنافق في التعامل مع القرآن، وذلك باستخدام صور محسوسة تقريبة من فهم الناس باستخدام الرسول صلى الله عليه وسلم التكرار في حديث؛ فقد كرر "مثل" في مطلع أو بداية كل جمله مما خلق توازنا إيقاعيا واتساقا شكليا "مثل المؤمن". وهذا من يسلط الضوء على محور المقارنة بين الصفات الدينية والسلوكية بين ترغيب المؤمنين إلى سلوكات الحميدة وفضل قراءة القرآن.

كل هذا التشبيه لتأكيد الفكرة الأساسية من المقارنة بين أربع أنواع من الناس، بناء على علاقاتهم بالقرآن، فكان للتشبيه حظا في خطاب النبي صلى الله عليه وسلم. وقد اعتمد على التشبيهات ليوضح الفرق بين المؤمن والمنافق، ومنه شبه المؤمن القارئ للقرآن بالأترجة، وهي ثمرة طيبة رائعة والطعم، مما يدل على اكتمال إيمانه وعمله الصالح، وشبه المؤمن غير القارئ للقرآن بالتمرة، وهي حلوة الطعم ولا رائحة لها، وهذا يدل على النقص في العمل مع بقاء الإيمان.

بالمقابل، شبه المنافق القارىء للقرآن بالريحانة، وهي طيبه الرائحة، ولكن طعمها مر. هذا يدل على أنّ الظاهر مزيف الباطن، شبّه أيضا المنافق غير القارئ للقرآن بالحنظلة؛ فهي مرة ولا رائحة لها، مما يعكس فساد الباطن الظاهري معا. وكلّ هذه التشبيهات المتقاربة

[1]- القسم العلمي بمدار الوطن، من الأمثال النبوية، مدار الوطن للنشر، دط، ص08.

تبين الفروق بين الشّخصيات الأربع بطريقه واضحة، وهذا هو غرض النبي صلى الله عليه وسلم الذي بين لنا فيه أن لا يستوي معها هذا في المؤمن الذي يقرأ القرآن لا يستوي معه الذي لا يقرأ القرآن، وكذلك المنافق الذي يقرأ القرآن لا يستوي مع المنافق الذي لا يقرأ القرآن والمنافق والمؤمن لا يستويان. اعتمد النبي صلى الله عليه وسلم في حديثه أيضا وبشكل واضح على الإحالة المقامية القبلية، وهي متمثله في "ريحها "، "طعمها"، "لها.".

الخاتـــمة

الخاتمة

من خلال الدراسة النظرية لهذا العمل، وبعد الإحاطة بموضوع "الاتساق في الحديث النبوي وعلاقته بالسياق التخاطبي"، نستنتج أنّ الاتساق يتمّ بالإحالة، الحذف، التكرار، الاستبدال في الحديث النبوي وانسجامه من حيث المعنى والسياق، وخلوه من التناقص والاضطراب. ويعكس هذا دقة نقل السنة النبوية ووضوحها، ولعل أبرز ما نجده من جوانب الاتساق في الحديث الشريف الاتساق الداخلي في الأحاديث. وبالإضافة إلى النتائج التفصيلية الآتية:

– استثمر النبي صلى الله عليه وسلم آليات الاتساق والأسلوب البلاغي والبيان، وربطها بالسياق التخاطبي، وهو يهدف للوصول إلى درجة عالية من إقناع المتلقي.

– يكون الحديث متسقا مع القرآن الكريم؛ فلا يخالف نصا قرآنيا أو قاعدة شرعية ثابتة.

– يتناسق كل حديث مع الأحاديث أخرى؛ فلا يتناقض حديث مع أحاديث أخرى صحيحة في نفس الموضوع.

– ثمة ترابط قوي وواضح بين السياق التخاطبي واتساق الأحاديث النبوية الشريفة.

– الإحالة في الحديث النبوي الشريف أكثر استعمالاً وتداولاً في الإحالة المقامية، وتأتي قبلية مرة ومرة أخرى بعدية، لكن أغلب ما تحيل إليه الضمائر "الهاء وهم"، تكون للمحال إليه والله عزّ وجل أو المتلقي، وهو المؤمن أو غيره استخدم النبي صلى الله عليه وسلم هذه الآلية من اتساق بكثرة في أحاديث تفاديا للتكرار، ليتضح المعنى الملتقي ويبسط له السياق التخاطبي في الحديث.

– ورد الحذف في الحديث النبوي الشريف كآلية من الاتساق، وهو يسهم في اتساق الحديث من حيث شكله، والاستجابة ومن حيث المضمون، ليوظفها النبي صلى الله عليه وسلم في أحديثه حفاظاً على أسلوبه البلاغي العالي والراقي. ولا شك في ذلك؛ لأنه أبلغ العرب وأفصحهم، لعله اتخذها بديلة للإحالة في الكثير من أحاديثه.

– للتكرار في الحديث النبوي الشريف دور هام وبارز في غلبة الحديث المختارة لنموذج التحليل؛ فغرض النبي صلى الله عليه وسلم كان واضحاً في توظيفه لآلية التكرار محافظاً على وضوح السياق وبساطة المعنى دون أن يختل أيّ من الاتساق أو الانسجام؛

فقد اتخذ غاية للتّوكيد مرة، وللتنبيه والتحذير مرة أخرى، وهذا لقوة أسلوب النبي صلى الله عليه وسلم في إقناعه للملتقي ولجمال أسلوب البلاغة الذي يوظف في أحاديثه وخطاباته.

– الاستبدال في الحديث النبوي الشريف، لعل آخر الآليات مرتبة من حيث الاستعمال والتوظيف في الحديث النبوي الشريف الاستبدال؛ فنجد أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يوظفها بكثرة في أحاديث الأخلاق والمعاملات التي اتخذناها نماذجا للتحليل دون غيرها من الأحاديث الأخرى.

– المحسنات البديعية في الأحاديث النبوية لكل من الطباق والمقابلة والجناس أسهمت في انسجام الأحاديث واتساقها وترابط سياقها وبيانيه.

– الصور البيانية من الأساليب التي اتخذها النبي صلى الله عليه وسلم في أحاديثه، ويوظفها ليبين المعنى والسياق ويقنع المتلقي.

– يستخدم النبي صلى الله عليه وسلم أسلوب الشرط والاستفهام بغرض الترغيب مرة واحدة وللتنبيه مرة أخرى في أحاديثه.

– يبدأ النبي صلى الله عليه وسلم بالترغيب في أحاديثه ثم يذهب إلى الترهيب وهذا ليصل لدرجة عالية من الإقناع.

بناء على تلكم النتائج نقترح ما يأتي:

– تعميق الدراسات التحليلية التي تربط بين الاتساق النصي والسياق التخاطبي في السنة النبوية.

– الاستفادة من منهاج علم اللغة الحديثة كالتحليل التداولي واللسانيات النصية في دراسات الأحاديث النبوية.

– توظيف نتائج البحثية في الدفاع عن السنة النبوية ضد الشبهات المعاصرة.

قائمة

المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع

1-ابن فارس، مقاييس اللغة، النشر والتوزيع، مؤسسة إبداع إعلام، مصر، القاهرة، ط1، 2018.

2-ابن منظور، لسان العرب، دار المعارف، النيل، القاهرة، طبعة جديدة.

3-أبو زكريا يحي بن شرف النووي، متن الأربعين النووية، ط 6، 2016، العلمة، الجزائر، بيت الحكمة للنشر والتوزيع.

4-سعد سرحت لسانيات النص، مداخل نظرية مع دراسة إجرائية في كتاب طوق الحمامة لابن حزم الأندلسي، ط1، 2016.

5-سعيد بن علي وهف القحطاني، حصن المسلم من أذكار الكتاب والسنة، دار الإمام مالك، طبعة ملونة ومشكولة، 2011.

6-القسم العلمي بمدار الوطن، من الأمثال النبوية، مدار الوطن للنشر، دط.

7-مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزابادي، القاموس المحيط، تح: أنس محمد الشامي وزكريا جابر أحمد، دار الحديث، القاهرة، مصر، دط، 2008.

8-مجمع القاهرة، الوسيط، دار الدعوة، القاهرة، مصر، 1972.

9-مجموعة من الأساتذة، مفاهيم التعليمية بين التراث والدراسات اللسانيات الجديدة، دط، 2009.

10-محمد الأخضر الصبحي، مدخل إلى علم النص ومجالات تطبيقه، دار العربية، دط.

11-محمد ناصر الدين الألباني، صحيح الأدب المفرد، مكتبة الدليل، ط4، 1997، المملكة العربية السعودية.

12-مسعود بودوقة، السياق والدلالة، دار الأيام للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2016.

13-مسلم الحجيري القشيري، صحيح مسلم، بيروت، دار إحياء التراث العربي.

14-مصطفى محمد عمارة، جواهر البخاري وشرح القسطلاني، دار الفكر، دط، بيروت، لبنان.

15-نعمان بوقرة، المصطلحات الأساسية في لسانيات النص وتحليل الخطاب، جدار للكتاب العالمية للنشر والتوزيع، عمان الأردن، ط1، 2009.

16-هاليدي ورقية حسن، نقلا عن محمد خطابي، لسانيات النص، مدخل إلى انسجام الخطاب، المركز الثقافي العربي، دار البيضاء، المغرب، ط2، 2006.

فهرس المحتويات

فهرس المحتويات

شكر وعرفان.....

إهداء .....

مقدمة.....أ-ج

الفصل الأول: مفاهيم وأسس نظرية عامة للدراسة

تمهيد: 5

1-السياق:..... 5

2-الانسجام:..... 6

3-الاتساق:..... 7

الفصل الثّاني: الاتساق والانسجام الحديثي في نماذج مختارة

تمهيد: 16

1-النّموذج الأول:.....17

2-النموذج الثاني: 18

3-النّموذج الثالث:.....19

4-النّموذج الحديثي الرّابع: 20

5-النّموذج الحديثي الرّابع: 21

6-النّموذج الحديثي السادس:.....22

7-النّموذج الحديثي السّابع: 23

8-النّموذج الحديثي الثامن:.....24

9-النّموذج الحديثي التاسع: 26

الخاتمة.....40

قائمة المصادر والمراجع.....46

فهرس المحتويات.....48

ملخص الدّراسة.....50

ملخص الدّراسة

تهدف هذه الدّراسة إلى بيان وكشف مظاهر الاتساق في الأحاديث النبوية الشريفة، وذلك من خلال تحليل نماذج مختارة من الأحاديث النبوية الشريفة من حيث استثمار النبي صلى الله عليه وسلم لبعض الظواهر البلاغية، كالحذف والتكرار، والاستبدال والإحالة، وربطها بانسجام وسياقه.

باعتماد المنهج الوصفي في تقديم أسس نظريه عامة للموضوع، والمنهج التحليلي في استنباط مظاهر الاتساق في نماذج الأحاديث النبوية الشريفة، توصلت الدّراسة إلى أنّ الرسول صلى الله عليه وسلم استثمر الظواهر اللغوية في وصول أعلى درجه من الإقناع في الحديث، مع اتساق الجانب البنائي اللغوي فيه، وتناسب وانسجام المعنى والسياق.

الكلمات المفتاحية: البلاغة، الحديث النبوي، الاتساق، الانسجام، السياق.

Abstract:

This study aims to reveal the aspects of coherence in the noble Prophetic Hadiths through analysing selected models in terms of how the Prophet Mohammed (peace be upon him) used certain rhetorical phenomena such as ellipsis, repetition, substitution, and reference, and how these are connected to coherence and context. Using the descriptive approach to present general theoretical foundations of the topic, and the analytical approach to infer the aspects of coherence in the Prophetic Hadiths models, the results showed that the Prophet (peace be upon him) used the linguistic phenomena to attain the highest degree of persuasion in his speech, maintaining coherence in the structural linguistic aspect and ensuring cohesion between meaning and context.

Keywords: Rhetoric, Prophetic Hadith, Coherence, Cohesion, Context.